

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معالم الأسرة الصالحة (المحاضرة 4)

الزمان: 03/12/2013

المكان: طهران - بقعة الشيخ عبدالله الطرشتي

ألقى سماحة الشيخ بناهيان في العشرة الثالثة من المحرّم وفي بقعة الشيخ الطرشتي خمس محاضرات تحت عنوان «معالم الأسرة الصالحة» فإليكم أهمّ المقاطع من محاضراته الرابعة:

أحد أسباب التأخير في الزواج، هو الانطباعات غير الصحيحة التي تبلورت في أذهان الناس عن الزواج

الخطوة الأولى في سبيل الوصول إلى الأسرة الصالحة هو إصلاح رؤيتنا وانطباعاتنا عن «الأسرة». يجب أن نرى أولاً ما هي رؤيتنا وما هو انطباعاتنا عن الأسرة؟ هل انطباعاتنا عن الأسرة هو أننا نرى «الأسرة» مفهوماً عظيماً ورائعاً؟ هل نعتبر الأسرة موطناً لبناء الذات ومجمّعاً أشبه بالمعسكر أو نادي الرياضة مع مزيد من اللطافة والرأفة، أو أننا نعتبرها موطناً للاسترخاء والراحة المطلقة؟ هل نرى الأسرة كفندق ليس سوى محلّ للاستراحة والطعام، أو أنها موطن للقيام بمسؤولية ودور مهمّين؟ مع الأسف إن لبعض الناس انطباعات غير صحيحة عن الأسرة. فعلى سبيل المثال تراهم يقولون: «لقد ورط فلان نفسه وتزوَّج!» أو يقولون: «أتعلمون أن المرأة الفهيمة مع أي رجل تتزوَّج؟ المرأة الفهيمة لا تتزوَّج أبداً!» إن مثل هذه الأحاديث تترك أثراً سلبياً على نفسيّة الشباب، وتخرب رؤيتهم عن الزواج شيئاً فشيئاً. أحد أسباب التأخير في الزواج، هو هذه الانطباعات غير الصحيحة التي تبلورت في أذهان الناس عن الزواج. وعلامة هذه الانطباعات هو هذه الكلمات والعبارات التي كوَّنها الناس عن الزواج. أو ما يمارسه بعض الناس من المبالغة في تبين صعوبة تكوين الأسرة، أو يتحدّثون بنظرة سلبية عن هذا الموضوع، ومع الأسف قلّ ما وجدنا من يشكر ويثني على جمال الأسرة ومحاسنها. إن انطباعاتنا عن تكوين الأسرة لأمر مهمّ جداً. كما أن هذا الانطباع يترك تأثيره على كنيّة سلوكنا في اختيار الزوج، أو في اختيار الأسرة التي نناسبها. إن سبب تصعّب بعض الأسر في مدى مكنة الصهر الاقتصادية، أو مستواه الاجتماعي، أو مستواه الدراسي فهذا ما هو ناجم عن رؤيتهم الخاطئة تجاه الأسرة. فلعلّهم يعتبرون الأسرة وسيلة للتفاخر والمباهاة. حتى أن بعض الفتية يصرّحن بأن: «هذا الفتى لا يليق بي كثيراً! فإذا مشينا سوياً في الشارع، يقول الناس: إن هؤلاء غير متناسقين مع بعض!» فإن مثل هؤلاء يعيشون في ظرف «يقول الناس»، ورؤيتهم عن الأسرة متعلّقة بما يقول الناس عنها.

كثير من الرجال لا يعرفون طبيعة المرأة/ يجب على الرجل أن يلزم الصمت ويصبر على كلام زوجته المرّ

كثير من الرجال المتزوجين لا يعرفون طبيعة المرأة، وليس لهم رؤية صحيحة عنها. فعلى سبيل المثال لا يعرفون أن طبيعة النساء - ما عدى اللاتي قد تعبن على أنفسهن وجاهدن أنفسهن - هي بحيث، إذا أطلقن لسانهنّ بالعتاب والشكوى، يعتبن بشكل مطلق ويكفرن بكلّ جميل، وإذا تألمت إحداهنّ من زوجها، لعلّها تقول له: «لم أر منك خيرا قط!»، «لِأَنَّهَا إِذَا غَضِبَتْ عَلَى زَوْجِهَا سَاعَةً تَقُولُ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ» [مستدرک الوسائل/١٤/٢٤٤] «و لَا يَشْكُرَنَّ الْكَثِيرَ إِذَا مُنِعَ الْقَلِيلَ» [من لايحضره الفقيه/٢/٥٥٤] عندما تقول المرأة هذا، يزعم الرجل أنها تكرهه أشدّ كره وحاقدة عليه، في حين أن الأمر ليس كذلك، وعلى الرجل أن يلزم الصمت ويصبر في مثل هذه المواقف. لقد ذكر رسول الله(ص) أن النساء عاجزات عن التعبير بشكل صحيح، يعني قد تزداد مرارة كلامهنّ عن الحدّ الطبيعي، فعليكم أن تستروا ذلك بالسكوت؛ «إِنَّمَا النَّسَاءُ عِيٌّ ... وَ اسْتُرُوا الْعِيَّ بِالسُّكُوتِ» [الكافي/٥/٥٣٥، من لايحضره الفقيه/٣/٣٩٠] تجمع الأسرة بين الرجل والمرأة مع ما يتّصفان به من فوارق كثيرة وبيّنة، مما تؤدي إلى حلاوة ومرارة في الحياة. فإن لم تكونوا تتبأون هذه الظاهرة، سوف لا تملكون القابليّة للتمتّع بحلاوة الحياة ولا تقدرّون على استيعاب مرارتها ومواجهتها بشكل مناسب. وأساسا إن الله قد قرن بين هذين الجنسين المتعارضين والمختلفين من عدّة جهات في نطاق الأسرة لكي تتجسّد مواطن التعارض والانسجام بينهما، وليرى المواقف وردود الأفعال التي تصدر من كلّ زوج تجاه الآخر على مدى أيام حياتهما المشتركة وعلى رغم كل الاختلافات الموجودة بينهما. وفي الواقع يجب على الزوجين وبالرغم من كل الاختلافات والفوارق الموجودة بينهما أن يكمل كلّ منهما الآخر ويتكاملا معا.

أي زوجة اخترتها، فيجب أن تعتبرها الزوجة التي اختارها الله لك

دققوا وأمعنوا النظر في مسار اختيار الزوجة، ولكن اعلّموا أنه لستم من يحسم الأمر، فبعد ما تمّ الاختيار وانعقد الزواج، يجب أن تعتبروا زوجتكم، هي الزوجة التي قد اختارها الله لكم. فتحملوا كلّ المرارات والمصاعب التي ستواجهونها في حياتكم وقولوا: لا بدّ أن هذه المشاكل والمرارات لمصلحتي ولولا ذلك لما قدّرها الله لحياتي - طبعاً ما عدى بعض الموارد النادرة التي هي خارجة عن موضوع بحثنا - لذلك فاعملوا بتكليفكم في مقام التحقيق والتدقيق في اختيار الزوج، ولكن بعد ما عملتم بتكليفكم فاعتبروا كلّ ما يحدث، من مشيئة الله وإرادته. فقد روي عن النبي(ص): «لو دَعَا لك إسرأيلُ و جبريلُ و ميكائيلُ و حَمَلَةُ العَرشِ و أنا فيهم ما تَزَوَّجْتَ إلاّ المرأةَ التي كُتِبَتْ لك» [ميزان الحكمة/ح ١٦٥٠٠] يقول بعض الناس الذين يتصعّبون جدّاً في قضية اختيار الزوج: «أريد أن أجد كفوا لي!». طبعاً إن أصل «الكفوية» بين الزوجين أصل صحيح، ولكن النقاش في تفسيركم لهذا الأصل. في الواقع إن أفضل زوج لكم هو الذي من خلال الحياة معه، يعينكم على معالجة عيوبكم والكمال والتقرب من الله سبحانه وتعالى.

إن الكثير من حالات الطلاق ناشئة من الرؤية الكاذبة عن الزواج/ أولئك الذين لم يهتموا بإنجاب الأولاد فلم يدركوا معنى الأسرة أساساً

قد تكون بعض أنواع الطلاق بسبب عدم تحمّل الزوجين ونفاد طاقتهما، ولكن الكثير من حالات الطلاق بسبب عدم الدراية والغفلة عن مقدّرات العالم وأنّ رؤيتهم عن الزواج غير صائبة أساساً. إن بعض الناس قد خلطوا بين البيت وبين الأريكة! في حين أن المفترض عليهم أن يعتبروا البيت من قبيل نادي الرياضة أو برنامج رياضي بحيث يحرضهم على الحركة والتمرين مما يؤدي بهم إلى الرشد والارتقاء. ما هي نظرنا عن العلاقة الزوجية؟ أحد القضايا المطروحة في العلاقة الزوجية هي اللذة الجنسية، وإلى جانبها اللذة العاطفية والتعاون في الحياة. يعني كلّ من الزوجين يتصدّى لبعض الشؤون والأعمال في الحياة. ومن الجوانب المهمّة في الحياة هي «إنجاب الأولاد»، ولعلّها من أهمّ أقسام الحياة، في حين أن كثيرا من الناس يولونه أقلّ عناية.

يمنتع كثير من الناس عن الإنجاب أو يحدّدون أنفسهم، فهؤلاء لم يدركوا معنى الأسرة؟ ولم تكن لهم رؤية صحيحة عن الأسرة والحياة المشتركة. لم يكن إنجاب الأولاد في الدرجة الأولى من الأهميّة في رؤية أهل الغرب عن الأسرة، كما لم يولوا أي اهتمام لمفاهيم التكامل والرشد عبر تحمّل الاختلافات بين الزوجين، ولذلك تبادر إليهم هذا السؤال وهو لماذا يجب علينا التعايش مع الجنس المخالف دائماً؟! فبدلاً من تكوين الأسرة والتورّط بأعبائها وعنائها، يمكن تلبية الشهوة الجنسية عبر طرق أخرى، وإذا أردنا أن نجربّ التعايش والحياة المشتركة، فبإمكاننا أن نتعايش مع كلب أو قطّة؟! وبالمناسبة تذكر بعض الإحصائيات أن في بعض هذه المجتمعات الغربية، عدد نفوس الذين يعيشون مع كلب أو قطّة أكثر من عدد نفوس الذين يعيشون مع أزواجهم. لأنهم وبسبب شدّة أنانيتهم وطلبهم للراحة، لم يكادوا يتحمّلون إنساناً آخر بجانبهم، ولذلك يقولون: «إن تحمّل الكلب بجانبنا أسهل علينا بكثير من تحمّل الزوج!» إذ لا يريدون أن يكون بجانبهم إنسان يختلف معهم في بعض الشؤون، فهذا ما يزعجهم ولا يطيقونه.

على الوالدين أن يتخذا سياسة «التغافل» عن بعض أخطاء أولادهم/ لا ينبغي للوالد أن يدخل البيت بهدوء وخفية ليقبض على أولاده

إن للأسرة حرمة خاصّة وعلى الرجل والمرأة مراعاتها. فعلى سبيل المثال روي عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: «يُسَلَّمُ الرَّجُلُ إِذَا دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ وَ إِذَا دَخَلَ يَضْرِبُ بِتَعْلِيهِ وَ يَتَنَحَّحُ وَ يَصْنَعُ ذَلِكَ حَتَّى يُؤْذِنَهُمْ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ حَتَّى لَا يَرَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ» [جامع الأخبار/ص ٨٩] لا أن تخفي النساء والأولاد معاً شيئاً عن الأب وهذا ما يمكن مناقشته في مجال آخر، ولكن ينبغي للرجل أن يحفظ حرمة نفسه وحرمة أسرته. فلا ينبغي للأب أن يدخل بصمت وهدوء ليقبض على أفراد أسرته! فليس هذا بطريق صحيح لمراقبة الأسرة. لابدّ للرجل أن يحظى بسيادة وشخصية عالية بحيث يضطرّ أفراد الأسرة إلى تعديل سلوكهم حياءً من شخصيته وكرامته. حتى قد وصّى الآباء والأمهات بالتغافل عن أخطاء أولادهم. صحيح أن هذا التغافل لا يردع الأولاد عن أخطائهم، ولكنه سيحافظ على حياتهم. وسيشكّل حياؤهم رادعاً من الفعل القبيح شيئاً فشيئاً.

كيف يجب أن تكون نظرة الرجل إلى خدمة الأسرة؟! لقد روي عن النبي (ص): «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَاشْتَرَى تُخْفَةً فَحَمَلَهَا إِلَى عِيَالِهِ كَانَ كَحَامِلِ صَدَقَةٍ إِلَى قَوْمٍ مَحَاوِيحٍ» لا شك في أن النبي (ص) لم يقصد تشبيه أفراد الأسرة بالمساكين، بل أراد أن يصف حجم الأجر والثواب الذي يحصل عليه الرجل عبر هذا العمل. ثم أكمل النبي حديثه وقال «وَلْيُبْدَأْ بِالْإِنَاثِ قَبْلَ الذُّكُورِ» ثم قال: «فَإِنَّ مَنْ فَرَحَ ابْنَةً فَكَأَنَّهَا أَعْتَقَ رَقَبَةً مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ مُؤَمَّنَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ مَنْ أَقْرَبَ بَعَيْنِ ابْنٍ فَكَأَنَّهَا بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» [أماي الصدوق/٥٧٧].

الرجل مسؤول عن ديانة زوجته/ المرأة التي تتواضع لزوجها، فهي في الواقع تزيد إمكان تمتعها من الحياة

روي عن الإمام الصادق (ع): «الكَادُ عَلَى عِيَالِهِ مِنْ حَلَالٍ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» [من لايحضره الفقيه/١٦٨/٣] وروي عن رسول الله (ص): «لِلْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا أَنْ يُشْبِعَ بَطْنَهَا وَ يَكْسُوَ ظَهْرَهَا وَ يُعَلِّمَهَا الصَّلَاةَ وَ الصَّوْمَ وَ الزَّكَاةَ إِنْ كَانَ فِي مَالِهَا حَقٌّ؛ وَ لَا تُخَالِفُهُ فِي ذَلِكَ» [مستدرک الوسائل/ج١٤/ص٢٤٣] وهذا يعني أن الرجل مسؤول عن ديانة زوجته. لقد قال النبي (ص): «فَأَيُّ رَجُلٍ لَطَمَ امْرَأَتَهُ لَطْمَةً أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَالِكًا خَازِنَ النَّيْرَانِ فَيَلْطِمُهُ عَلَى حُرِّ وَجْهِهِ سَبْعِينَ لَطْمَةً فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَ أَيُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى شَعْرِ امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ سُمِّرَ كَفُّهُ بِمَسَامِيرٍ مِنْ نَارٍ» [مستدرک الوسائل/ج١٤/ص٢٥٠] ومن جانب آخر، قال في تعامل المرأة مع زوجها: «وَيُلِّ لَامْرَأَةً أَعْضَبَتْ زَوْجَهَا وَ طُوبَى لَامْرَأَةٍ رَضِيَ عَنْهَا زَوْجُهَا» [عيون-أخبارالرضا/ج٢/ص١١] وقال في حديث آخر: «مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَةٌ تُؤْذِيهِ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ صَلَاتَهَا وَ لَا حَسَنَةً مِنْ عَمَلِهَا حَتَّى تُعِينَهُ وَ تُرْضِيَهُ وَ إِنْ صَامَتِ الدَّهْرَ وَ قَامَتِ وَ أَعْتَقَتِ الرِّقَابَ وَ أَنْفَقَتِ الْأَمْوَالَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ كَانَتْ أَوَّلَ مَنْ تَرِدُ النَّارَ» [وسائل الشيعة/ج٢٠/ص١٦٣]

فإن تصرّفت المرأة بما يؤدي زوجها ويغضبه، فلا يجوز لها أن تمرّ من هذا الحدث بسهولة أو تؤجّل كسب رضاه إلى يوم غد، بل يجب أن تجلس إلى جانبه وتمسك يده وتقول له: لا أنام الليلة حتى ترضى عني! فقد روي عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: «خَيْرُ نَسَائِكُمُ الَّتِي إِنْ غَضِبَتْ أَوْ أَعْضَبَتْ قَالَتْ لِرِزْوَجِهَا يَدِي فِي يَدِكَ لَا أَكْتَحِلُ بِغُمُضٍ حَتَّى تَرْضَى عَنِّي» [من لا يحضره الفقيه/ ج ٣/ص ٣٨١] طبعا قد يوّد الرجل أن يبطن في العفو عنها وأراد أن يلبي أنفته وكبريائه، ولكن على المرأة أن تصبر على كبرياء بعلمها إذ أن هذه الكبرياء تنفع الزوجة أيضا ولصالحها، إذ إن انكسرت رجولة الرجل وأنفته، فلم تعد المرأة تحبه بعد فترة. ومن هذا المنطلق نقول: إن المرأة التي تتواضع لزوجها فهي في الواقع تزيد إمكان تمتعها من الحياة.

إن تجاسر المرأة على الرجل يؤدي إلى سوء تربية الأولاد/ إن لم تُحفظ حرمة الأب في البيت، لن تلتزم البنت بحجابها غالبا

المرأة التي تتجاسر على زوجها في البيت، - ولا سيما بمرأى الأولاد - فهي في الواقع تزعزع أركان البيت، وتتسبب في سوء تربية الأولاد، إذ قد هتكت حرمة الأب ولم يعد يؤثر حنانه ورأفته إلى الأولاد ولا سيما البنات، إذ أنّ تحنن الأب المكسورة شخصيته لا تلتصق بفؤاد أولاده ولا تسد حاجتهم إلى المحبة والحنان. قالت لي إحدى الأمهات المتديّبات: بدأ يتدهور حجاب بنتي، مع أنني قد حسنت حجاب جميع البنات في المدرسة الثانوية، ولكنني عجزت عن إصلاح بنتي. فسألتها: هل تتجاسرين أحيانا على زوجك وتستهينين بشخصيته أمام الأولاد؟! قالت: هو رجل أمي و عامل بسيط! قلت لها: فإذاً تتجاسرين عليه؟! قالت: قد يحدث ذلك أحيانا. قلت لها: فمن المحتمل أن لا تنصّح بنتك! قالت: شيخنا، لا تقل هكذا! أعطني طريق حلّ! فقلت لها: إنما تعتمد الفتاة على أبيها، فإذا انكسر أبوها فعلى من تعتمد إذن؟! لذلك تذهب إلى الشوارع لتجد من تعتمد عليه... عندما تحفظ حرمة الأب في البيت من قبل الأم، يقدر الأب على تعديل سلوك بنته بإشارة فقط، كما أنه إذا تحنن على بنته وتحبب إليها، تمتلئ الفتاة حبا، فإذا طالبها بضبط حجابها، ستمثل هذه الفتاة بكل رحابة صدر وستختار أفضل حجاب، بسبب المحبة التي تلقّتها من أبيها ومكانة أبيها وموقعه المحترم في قلبها. أمّا إذا هتكت الأم حرمة زوجها في البيت وأمام الأولاد، يفقد الأب وزنه وأبتهته في البيت، بحيث حتى إذا صرخ على بنته، أو أصرّ علي ها إصرارا شديدا، لا يؤثر كلامه في بنته.

إذا كانت الأم محبوبة في البيت، والأب مطاعا، يصبح الطفل متعادل الشخصية

يجب أن تحفظ حرمة الأب في البيت. فلا يجوز للمرأة أن تقول: «لقد غضبت فصرخت بوجه زوجي! فما عسى أن حصل؟!» إن البيت هو موطن لجهاد النفس؛ فإنك وعبر هذا التجاسر على الأب، قد زعزعت أركان البيت، وتسببت في سوء تربية الأطفال. إن بعض النساء - وللأسف - يزعمن أن الصراخ والكلام الخشن يصلح كل شيء! طبعاً لعلها إذا صرخت لم يخالفها بعلمها - لأي سبب كان - ويخضع لرأيها ويستتب الهدوء في البيت، ولكن لا يضمن هذا الطريق تعادل الأطفال الروحي. لا يتصف الأطفال في البيت بالتعادل الروحي إلا إذا وجدوا الأب «عماد» البيت والأم «جمال» البيت. بتعبير آخر الأب هو الرئيس الحقوقي في البيت، والأم هي الرئيس العاطفي في البيت. لذلك يجب أن تقول الأم لأولادها: «إياكم أن تكسروا شخصية أبيكم» وهي أيضا لا تكسر شخصيته وكبرياءه. وكذلك يجب أن يقول الأب للأطفال: «إياكم أن تكسروا قلب أمكم» وهو أيضا لا يكسر قلب زوجته. ففي مثل هذه الأسرة، سوف يعمل الأولاد حسب ما تحبه الأم ويأمر به الأب، وهكذا يتحقق تعادل روحي جميل في داخل الأسرة. إذا كانت الأم محبوبة في البيت، والأب مطاعا، يصبح الطفل متعادل الشخصية. هذا هو الأصل وباقي القضايا من قبيل توفير وسائل الراحة في الحياة فرع له. يجب أن يكون كل شيء في موضعه؛ الأب هو القائد والأمر في البيت، والأم هي الممثلة، فلا يمكن تبادل الأدوار بينهما، بحيث تصبح الأم قائدة مطاعة والأب محبوب ومعشوق في البيت. فعند ذلك يختل تعادل الأطفال، وإذا صدر منهم سلوك حسن، فيكون بسبب جنهم وقلّة إرادتهم. لأن صلاح بعض الناس ناجم عن جنهم وعجزهم، إذ كل إنجاز، حتى وإن كان قبيحا، يحتاج إلى جرأة ما.

ناسبو العوائل الذين يحظون بالتعادل الروحي / أهم عامل في التعادل الروحي: محبة الأب إلى الأم واحترام الأم إلى الأب

ناسبو العوائل الذين يحظون بالتعادل الروحي والنفساني. بالتأكيد يرتبط التعادل الروحي بكثير من العوامل ولكن من أهم العوامل هو هذان العاملان الأساسيان وهما أنه: هل يعطف الأب على الأم أمام الأولاد ويتحّب إليها؟! وهل تطيع الأم زوجها أمام الأولاد وتحترمه؟! هذا ما يحقق التعادل في البيت. وستصبح الفتاة الناشئة في مثل هذا البيت أمّاً وزوجةً سالحة، كما ستلتزم بالحجاب بكل سهولة. ويتعلّم الولد كيف يداري زوجته، إذ قد رأى تحنن أبيه على أمّه. جدير بالذكر أن قد أكّدت الروايات كثيرا على محبة الأب ببنته. «مَنْ كَانَ لَهُ أُنتَى فَلَمْ يُبْدِهَا وَ لَمْ يُهْنَهَا وَ لَمْ يُؤْثِرْ وَ لَدَهُ عَلَيْهَا أَذْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ» [مستدرک الوسائل/١٥/ص١١٨] و «مَنْ ابْتُلِيَ - أَيْ امْتَحَن - بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ» [المصدر نفسه] «الْبَنَاتُ حَسَنَاتٌ وَ الْبُنُونَ نِعْمَةٌ فَالْحَسَنَاتُ يُثَابُ عَلَيْهَا وَ النِّعْمَةُ يُسْأَلُ عَنْهَا» [من لايحضره الفقيه/٣/٤٨١] ويبدو من بعض الروايات أنّ عيالة البنت ليس بأمر بسيط فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثَ أَخَوَاتٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ص وَ ائْتَيْنِ فَقَالَ وَ ائْتَيْنِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ وَاحِدَةً فَقَالَ وَ وَاحِدَةً» [الكافي/ج٦/ص٦] تصوّروا كم هو جميل ورائع أن يقوم الأب بالتحبّب إلى بنته ويديريها ويربّيها كشدة الورد، ثم تكبر هذه الفتاة وتتزوج وتكون في خدمة أسرة أخرى. فانظروا كم هذا العمل لطيف؟ لعلّ أوّل ما يتوقّعه الأب من صهره أن يعطف على بنته ويرحمها ويكون رحيما بها. ومن المؤكّد لابدّ لهذا الصهر أن يكون قد تعلّم هذا العطف من أبيه في البيت؛ يعني أن يكون قد تعلّم العطف والحنان من تحنن أبيه إلى أمّ البيت. طبعاً هناك من لا يقدر المحبة مهما تحبّبوا إليه. أتعلّمون كم قد عطف أمير المؤمنين (ع) على أطفال الكوفة وأطعمهم؟ فليت شعري كيف ردّ هؤلاء، إحسان أمير المؤمنين ومحبتّه؟ بعد أن جاءوا بالسبايا إلى قرب الكوفة، بدأوا يطبخون الطعام فانتشرت رائحة الطعام الحارّ فأحسّ بها الأطفال وهم لم يطعموا شيئاً منذ يومين، فأكل جلاوزة عمر بن سعد الطعام دون أن يعطوا الأطفال لقمة منه. لقد أراد هؤلاء الخبثاء أن يجوعوا أحفاد أمير المؤمنين (ع) ليشتدّ بهم الجوع، حتى إذا دخلوا الكوفة يمدّون أيديهم إلى الناس ويسألونهم الطعام...

ولذلك فلم يحصل الإنسان على شيء عن طريق الفسق والمجون سوى أنه جعل لذته الحلال حراما. وشتان بين بركة الحلال ونحوسة الحرام! كالسارق الذي يأكل ويصرف بعض الأموال، فلو لم يكن يسرقها لرزقها عن طريق حلال.

«أريد» و «يعجبني» و «أشتهي» هي ملح الحياة، فإن ازدادت عن حدّها، تصبح الحياة مألحة لا تطاق!

الأسرة مكان لا ينبغي أن يكثر الإنسان فيه من استخدام كلمات «أريد» و «يعجبني» و «أشتهي». يعني لا ينبغي أن يفكر الإنسان دوما بتلبية رغباته وشهواته. طبعا ليس قصدنا أن لا يستخدم هذه الكلمات أبدا، ولكن ليقبل من استخدامها. روي عن الإمام الصادق (ع) أن: «دَخَلَ قَوْمٌ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ع فَقَالُوا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ نَرَى فِي مَنْزِلِكَ أَشْيَاءَ نَكْرَهُهَا وَإِذَا فِي مَنْزِلِهِ بُسْطٌ وَ مَمَارِقُ فَقَالَ ع إِنَّا نَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَنُعْطِيهِنَّ مُهُورَهُنَّ فَيَشْتَرِينَ مَا شِئْنَا لَنَا مِنْهُ شَيْءٌ» [الكافي/ج ٦/ص ٤٧٦] وهذا يعني أن الإمام الحسين (ع) قد لبى رغبة زوجته، فلا بد من تلبية بعض هذه الرغبات في البيت، ولكن ترى بعض الناس مع الأسف لا يفكرون إلا بتلبية رغباتهم في البيت، وهذا غير صحيح. «أريد» و «يعجبني» و «أشتهي» هي مثل ملح الطعام الذي يجب أن نستخدم مقدارا قليلا منه في الطعام، وكذلك هذه الكلمات، فهي ملح الطعام وإن ازدادت عن حدّها، تصبح الحياة مألحة لا تطاق!

يجب أن يرى الطفل «جهاد النفس» في سلوك والديه/ العقاب والثواب الذان يسيئان إلى تربية الطفل

إن أساس إصلاح النفس هو جهاد النفس ومخالفة الهوى، فالوالدان الذان لا يعلمان ولدهما ذلك بعملهما وسلوكهما، ولا يعيئانه أجواء جهاد النفس في البيت، فلا يتوقعا صلاحه وأن يتربى تربية ساملة. الوالدان الذان يتفوهان بكل كلمة حين الغضب، بطبيعة الحال سيفعل ولدهم كل ما يشاء! يجب أن يرى الطفل مرارا في سلوك والديه أن قد غضبا مرارا، ولكنهم لم ينطقوا بشيء وإنما تبسموا فقط. فإن رأى الطفل مثل هذا السلوك، سيعرف أنه يجب عليه أن يتصرف بما لا يشتهيه هوى نفسه ويسحق نفسه في مواطن كثيرة.



المهمّ هو أن يرى الطفل جهاد النفس في فعل والديه وقولهما، وإلا فمهما رأى أفعالهما الصالحة التي تخلو من عنصر جهاد النفس، فلا تنفع هذه الأفعال في تربيته. إذ أن الأفعال الصالحة التي رآها من أبيه، قد أنجزت بحوافز ومشجّعات أخرى، وكان الأب راغبا بإنجاز هذا العمل الصالح، وعليه فيترّبّي الولد تابعا لشهوته ورغباته. فعلى سبيل المثال إن كنت قد صليت كلّما اشتهيت الصلاة ورغبت بها، وتركتها كلّما رغبت عنها، وأديت باقي أعمالك الصالحة على هذا الأساس وبحسب ما راق له هواك، كذلك يترّبّي ولدك تابعا لأهوائه ورغباته ويقوم بما يعجبه ويشتهي! وهذا ما تعلّمه منك بالضبط.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته